ثلاثية الانتظار

الشمس خلف السحب...

كمال السيد

لقد ولد السلام

ها هو التاريخ ذلك الشيخ الغارق في السنين والحوادث.. يفرك جبينه المتغضن، ليعود بنا عبر ذاكرته إلى «سامراء»..

وتتوهج الحوادث.. حوادث سنة ٢٥٦ هـ (٨٦٨م)... ترى ما بالها «سامراء»، غارقة في المؤامرات.. القادة الأتراك يتمردون على الخليفة العباسي «المهتدي» فيقتلونه.. وكان على وشك أن يصدر أمره بقتل رجل سجين هو «الحسن العسكري» الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

محمد بن خفاجة أمير صقلية يقتحم جزيرة مالطة ويستعيدها من قبضة الرومان. والزنوج القادمون من شرق إفريقيا لاستصلاح الأراضي الزراعية في جنوب العراق يشعلون نار الثورة.. وتتدفق أنهار الدماء.. دماء الضحايا.

وفي بيت متواضع في سامراء، وفي ليلة النصف من شعبان، وفي غفلة عن الجواسيس، كان العالم على موعد لميلاد الصبي الذي بشَّرت به الأنبياء.

كقلوب تنبض بأمل بدت النجوم في تلك الليلة الصافية، وقبيل الفجر بلحظات هتفت القابلة بالبشرى: «لقد وُلد السلام».

الصبي القادم من رحم البشارات يحمل ملامح النبوّات الغابرة. يحمل من موسى بن عمران؛ خشية الفرعون، وكان يبحث عنه جنيناً.. ويحمل من المسيح عيسى بن مريم حديثه في المهد صبياً.. ويحمل من نوح عمره الطويل.. إذ لبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً..

ويحمل من محمد اسمه وكنيته ورسالته..

هـا هـو المـهدي مـحمد «خـاتم الأئـمة والأوصـياء».. يـواكب الزمـان.. تـتحطم عـند قـدميه أعـمدة القـرون.. يشـهد مـيلاد الحضارات.. وزوال الدول..

العالم يغرق في الفساد؛ والأرض تطحنها الحروب المدمّرة.. والشعوب تـنتظر.. تـنتظر الذي يأتي في آخر الزمان..

لن نذهب بعيداً يا سيدي.. يـا مـن تـتخطّى أعمدة الزمن.. وقلبك الكبير يـخفق مـن أجـل الملايين.. ملايين الحفاة والمقهورين. بالامس القريب يا سيدي، عاثت «خنازير أوروبا» فـي بلاد البوسنة.. انتهكوا الحرمات.. قتلوا مـئات الأطـفال.. قـهروا آلاف النسـاء.. ذبـحوا آلاف الرجـال.. لا لشـيء إلّا مـن أجـل أنـهم آمـنوا بكلمات جدّك العظيم..

ثم ذرَّ الشيطان قرنيه في بلاد الشـيشان.. الروس الهمجيون يرتكبون المذابح.. والرجال يتقدمون أفواجاً نحو مذبح الحرّية.. يا سيدي!

الأطفال في بلاد الإسلام يموتون جـوعاً.. يخبو بريق الفرح في عيونهم يا سيدي. وهناك آلاف الأطفال في بلاد المستضعفين يذبحون في الظلام فتباع عيونهم في أسواق سرّية!

يا سيدي وكلّما يـطلّ الخـامس عشـر مـن شـعبان، يكـون القـمر بـدراً والسـماء تـزخـر بـالنجوم... تـنبض بـالأمل.. تـبشّر بـمستقبل أخضر قادم من بعيد.. أيها الأخضر القادم من رحم النبوّات.. يامن يحمل معه عـصا مـوسى يقهر بها سحر الفراعنة..

يا من تتألق في يمينه فأس إبراهيم.. يهشّم بها وجوه الآلهة المزيّفة!

يا من يـنطوي قـلبه عـلى بشـارة المسـيح بالخلاص، ويحمل معه دين محمد.. لينبعث من جديد النور الذي توهّج في جبل حراء.

يا سيدي! ونحن نرى فـي عـينيك صـورة العالم الأخضر.. سوف ترسل السـماء المـطر مدراراً..

وسوف تنبعث من جديد مواسم الخصب. وسوف تنطفئ حـرائـق الحـروب.. وسـتخمد أصوات المدافع.. ستتحول في لحظة خـضراء كل مصانع الأسلحة لتصبح معامل تنتج لعـباً للأطفال.. وستعود الفرحة للـقلوب.. والبسـمة للشفاه. ويومئذ يفرح المستضعفون بنصرالله.

تحية للقادم الأخضر

أعرف أنك قادم..

تحمل معك غصن الزيتون.. تحفّ موكبك حمائم السلام.. تحية لك..

وأنتَ تجوب المدن الخائفة..

تتألق في عينيك ألوان قزح..

أيها الأخضر القادم.

سترسم خطاك الربيع..

وجهك يحمل شـارات الأنـبياء.. امـتدادات السماء.. سيفاً .. قرآناً.. صـهيلاً مـخزوناً مـن أرض كربلاء.. من لحظة عاشوراء..

سـتشرق شـمس جـديدة تـغمر الدنـيا

بـالدفء والنـور والأمـل.. وتـرفع النـوق فـي الصحارى رؤوسها.. هناك فـي الأفـق البـعيد قافلة قـادمة يـقودها وارِث الحسـين.. العـالم يـنتظر قـدومك.. يـنتظر الروح التـي سـتصنع الحياة الجديدة.. سنرشّ دموع الفرح في دربك اللاحب..

سنحرق كل أشرعتنا ونغرق في شواطئك.

أيها المسكون بهاجس الرحـيل.. المـبهور بالسفر.. أيها القادم من رحم كـربلاء.. جـواداً ينبعث من قلب رمال الصحراء.

صوتك فيه أنغام الزبور..

تراتيل التوارة..

بشارة الأنجيل..

وآيات القرآن العظيم..

مايزال حضورك قويّاً رغم غيابك..

أيـها الشـاهد الغـائب.. والغـائب الشـاهد شمسك تنفذ من حجب الغيوم..

تذيب جليد التاريخ..

وصمتك العجيب.. يدوّي بلغة مدهشة أبلغ من كل أبجديات العالم..

بـاقة ورد أقـدّمها بـين يـديك يـا سـيدي، وسلام عليك في العالمين..

كلمات من وراء الغيوم

ولدتُ فـي زمـن يـصلب الأنـبياء.. تـحرق نيرانه الفراشات فغبتُ..

إنني أنتظر.. مثلكم.. لحظة الظهور أجـوس خلال الديار.. أرافق الزمان.

إنني الوجه الأخضر من التاريخ.

ستندثر كل صفحات التاريخ الصفراء..

ستبقى صفحتي مشرقة.

خضراء بلون الربيع.. بلون الحياة.. بـلون الحرّية.. أنا مستقبل الإنسان.

أنـا الشـمس القـادمة مـن قـلب الظـلمات.. والدفء بعد ليالي الزمهرير..

لا تخنقوني بالأساطير..

أنا حيّ بينكم.. أشهد جراحكم..

أبكي لعذاباتكم.. أتألم لضياعكم.

تعالوا إليّ لآتي إليكم..

ولتكن «مكة» موعدَ اللقاء.